تذكر عذاب النار

إعداد

القسم العلمي بدار ابن خزيمة

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار ابن خزيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له..

وأشهد ألاَّ إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله..

أما بعد:

أخي الكريم، أتدري ما هو معيار الفوز والنجاح في الحياة؟

إنه ليس دُنيا تكسبها أو أموال تمتلكها أو حسبًا أو جاهًا أو رئاسة؛ فهذا كلُّه إلى زوالٍ وانعدامٍ واضمحلال.

وإنما الفوز الحق والفلاح الحق هو أن تُزحزَح عن النار يوم القيامة..

﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]

﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

وهذا الفوز، وهو لابدَّ مرهون بمدى خوفك من النار ومدى تذكُّرك لها في كلِّ أحوالك وأعمالك، وكذلك مدى اجتنابك لأسباب ورودها..

فَلَوْ كَانَ هَوْلُ المَوْتِ لاَ شَيءَ بعْدَهُ
لَهَانَ عَلَيْنَا الأَمْرُ وَاحْتُقِرَ الأَمْرُ
وَلَكِنَّهُ حَشْرٌ وَنَشْرٌ وَجَنَّةٌ
وَنَارٌ وَمَا قَدْ يسْتَطِيلُ بِهِ الخَبَرُ

والله جلَّ وعلا قد أنذر عباده النار وخوَّفهم منها أيما تخويف، وبيَّن لهم أسباب النجاة منها فقال تعالى:

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى * إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى * وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى * فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى * وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [الليل: ٦-٢١].

فما هي صفة النار؟

وما هي الأعمال الموجبة لدخولها؟

وكيف سبيل النجاة من جحيمها؟

* * *

صفة النار

أخي الكريم..

إنَّ الحديث عن النار وعذابها وهولها وجحيمها حديث تتفطَّر له الأكباد، وتتفجَّر منه القلوب، وتضطرب له النفوس .. فما سمع أحدٌ بِما في النار من ألوان العذاب والشقاء وآمن به إلا ويعيش في فزعٍ وقلقٍ وخوفٍ ورهبة؛ خشيةً أن يكون من أهلها.

فنار جهنم تغلي شدَّةً وحرارة، قد ضُوعفت سبعين مرَّةً مما عليه نار الدنيا .. وأيُّ مخلوقٍ يقوى على نار الدنيا حتى يقوى على احتمال نار الآخرة؟!

يقول رسول الله ﷺ: «**ناركم هذه التي يُوقِد ابن آدم جزءٌ من سبعين جزءًا من حرِّ جهنم**»، قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله. قال: «**فإنها فُضِّلت عليها بتسعةٍ وستين جزءًا كلّهن مثل حرِّها**» رواه البخاري ومسلم.

ولشدَّة ما عليه جهنم من الحرِّ فإنَّ أخفَّ الناس عذابًا فيها إذا لفحته في أقدامه غلي دماغه من شدَّة الحرِّ والعياذ بالله.

فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنَّ أهون أهل النار عذابًا من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل، ما يرى أنَّ أحدًا أشدَّ منه عذابًا، وإنه لأهونهم عذابًا**»! رواه مسلم.

أما عظمها وسعتها فلا يعلم قدر ذلك إلا الله، والواقف على ما

ورد في السُنة في بيان سعتها ليقف ذاهلاً واجمًا أمام عظمة الله في خلقها؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال:

كنا عند النبي ﷺ فسمعنا وجبة، فقال: النبي ﷺ: «**أتدرون ما هذا؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هذا حجرٌ أرسله الله في جهنم من سبعين خريفًا، فالآن حين انتهى إلى قعرها**» رواه البخاري.

فأيُّ قلبٍ يتذكَّر هول النار وحالها وهو مؤمن بما يتذكَّر ثم لا يأسف ويتحسَّر على ما فرَّط في جنب الله، وجلاً من أن يكون مثواه الجحيم!

أيُّ قلب لا ينكسر إصراره ولا ينتهي عن الطاعة إدباره وقد علم أنَّ في الجحيم مقعدًا ينتظر قدومه، فإن هو آمن وأصلح نجا منه، وإن هو جحد واتَّبع هواه دخله!

هي النار – أخي – عذابٌ من حميم، وهواء يحموم، وأغلال وسموم، وسلاسل قد غُلَّ بها الأشقياء من أهل النار، وغشَّاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم، طعامهم الزقُّوم، وظلّهم اليحموم .. ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

جِسْمِي عَلَى مُبَرَّدٍ لَيْسَ يَقْوَى
وَلاَ عَلَى النَّارِ وَالحِجَارَة
فَكَيْفَ يَقْوَى عَلَى سَعِيرٍ
وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَة؟

يقول الرسول ﷺ: «**يؤتى بأنعَم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا بن آدم، هل رأيتَ خيرًا قط؟ هل مرَّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب**» رواه مسلم.

والناس في النار مُعذَّبون بحسب أعمالهم، فهم فيها على درجات، فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى رُكبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حنجرته، ومنهم من تأخذه إلى عنقه.

فَيَا سَاهِيًا فِي غَمْرَةِ الجَهْلِ وَالهَوَى
صَرِيعَ الأَمَانِي عَن قَرِيبٍ سَتَنْدَمُ
أَفِقْ قَدْ دَنَا الوَقْتُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ
سِوَى جَنَّةٍ أَوْ حَرِّ نَارٍ تُضْرَمُ

أخي..

فتلك بعض صفات النار، وتلك بعض أحوالها، وهي لمن تذكَّرها خير واعظ يُحثُّه على سبيل النجاة، ويدعوه إلى الاستفاقة قبل الفوات.

* * *

الأعمال الموجبة لدخولها

أخي..

اعلم أنَّ لدخول النار أسبابًا، وهي على نوعين:

الأول– أسباب تُوجب لصاحبها الكفر:

وهي بالتالي تُوجب له دخول النار والخلود فيها، وهذه الأسباب هي كلّ ما يُوجب وقوع الإنسان في الكُفر والشرك، كالاعتقاد أنَّ لله شركاء في ألوهيته أو ربوبيته أو صفاته، أو الكفر بما جاء به الإسلام من الشرائع، أو الاستهزاء بالله جلَّ وعلا، أو برسوله، أو بكتابه، أو بشيءٍ من دِينه؛ فهذه الأسباب وغيرها من نواقض الإسلام، وهي أخطر موجبات النار، وهي لا تُوجب لصاحبها دخول النار فقط، وإنما الخلود فيها أيضًا كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

الثاني– أسباب مفسقة:

وهي عموم الذنوب كبيرها وصغيرها التي أوعد الله فاعلها بالنار، لكن دون الخلود فيها.

وهذه الأسباب لا حصر لها؛ فهي تشمل المعاصي بكلِّ أشكالها، ما لم تكن من النوع الذي يُوجِب لصاحبها الخروج من الملَّة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى:

"وجملة الكبائر التي تُدخِل العبد النار هي: الإشراك بالله تعالى،

وتكـذيب الرُسـل، والكفـر، والحسَـد، والكَـذِب، والخيانـة، والظُّلـم، والفـواحش، والغـدر، وقطيعـة الـرَّحم، والجُبن عـن الجهـاد، والبُخـل، واختلاف السِّرِّ والعلانية، واليأس من رَوح الله، والأمن من مَكر الله، والجزع عند المصائب، والفخر، والبطر عند النعم، وترك فرائض الله، وتعـدِّي حـدوده، وانتهـاك حرماتـه، وخـوف المخلـوق دون الخـالق، والعمـل ريـاءً وسمعـة، ومخالفـة الكتـاب والسـنة (أي اعتقـادًا وعمـلاً)، وطاعـة المخلـوق في معصـية الخـالق، والتعصُّـب للباطـل، والاسـتهزاء بآيـات الله، وجحـد الحـقّ، والكتمـان لِمـا يجـب إظهـاره مـن علـمٍ وشـهادة، والسِّـحر، وعقـوق الوالـدين، وقتـل النفس الـتي حـرَّم الله إلاَّ بـالحقّ، وأكـل مـال اليتـيم، والرِّبـا، والفـرار مـن الزَّحـف، وقـذف المحصنات الغافلات المؤمنات.

فتلك جُملة الأعمال التي تُوجب لصاحبها النار والعياذ بالله".

أخي الكريم..

إنك إذا وقفت على كثيرٍ من أحوال أهل النار وجدتهم دخلوها على أعمالٍ احتقروها وما اجتنبوها..

فهذه امرأةٌ دخلت النار في قطَّة حبستها، لا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض..

وهـذا رسـول الله ﷺ يمـرُّ بقـبرَين فيقـول: «**إنهمـا ليُعـذَّبان، ومـا يُعـذَّبان في كبـير، أمَّـا أحـدهما فكـان لا يسـتبرئ مـن البـول، وأمَّـا الآخر فكان يمشي بالنميمة**» رواه البخاري ومسلم.

فكيـف بمـن يُضيِّع الصلوات ويهتك الحرمات ويُجاهر بالمعاصي

والسيئات ويُصبح ويُمسي على الخطيئات؟.. لا شكَّ أنَّ خوفه على نفسه أوكد وأولى، وحاجته إلى عتق نفسه أحقُّ وأوجب.

تَفْنَى اللَّذَاذَةُ مِمَّنْ نَالَ صَفْوَتَهَا
مِنَ الحَرَامِ وَيَبْقَى الإِثْمُ وَالعَارُ
تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ فِي مَغَبَّتِهَا
لاَ خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِن بَعْدِهَا النَّارُ

أخي..

تحلَّل من مظالمك اليوم قبل أن يُباغتك موت ويحبسك عن التوبة فوت فتقول: «**رب ارجعون، لعلِّي أعمل صالحًا فيما تركت**»، فيقال:

﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ**﴾ [فاطر: ٣٧].

يَا آمِنًا مِن قُبحِ الفِعْلِ مِنهُ أَهَلْ
أَتَاكَ تَوْقِيعُ أَمْنٍ أَنْتَ تَمْلِكُهُ؟
جَمَعْتَ شَيْئَيْنِ أَمنًا وَاتِّبَاعِ هَوًى
هَذَا وَإِحْدَاهُمَا فِي المَرْءِ تَهْلِكُهُ
وَالمُحْسِنُونَ عَلَى درْبِ المَخَاوِفِ
سَارُوا وَذَلِكَ دَرْبٌ لَسْتَ تَسْلُكُهُ
فَرِحْتَ فِي الزَّرْعِ وَقْتَ البَذْرِ فِي سَفَهٍ
فَكَيْفَ عِندَ حَصَادِ النَّاسِ تُدْرِكُهُ؟

طريق النجاة

أخي الكريم..

إنَّ من رحمة الله جلَّ وعلا أن يسَّر على عباده الطريق الذي يُنجِّيهم من النار وأهوالها، وهو الطريق المستقيم الذي بيَّنه في كتابه وسُنة نبيه، وممَّا يُحفِّزهم عليه:

١- الخوف من الله:

فهو أعظم أسباب النجاة، به استمسك العارفون، وبه اعتصم المؤمنون .. قال رسول الله ﷺ: «**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل**».

قال يحيى بن معاذ: "مسكين ابن آدم؛ لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة".

وقال محمد بن واسع: "إذا رأيت في الجنة رجلاً يبكي ألستَ تعجب من بكائه؟

قيل: بلى..

قال: فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو أعجب منه.

إنَّ للهِ رِجَـــــــــــالاً فِطَنَـــــــــــا
طَلَّقُـــــوا الــــدُّنيَا وَخَــــافُوا الفِتَنَـــــا
نَظَـــــرُوا فِيهَـــــا فَلَمَّـــــا عَلِمُـــــوا
أَنَّهَـــــا لَيْسَـــــتْ لِحَـــــيِّ وَطَنَـــــا
جَعَلُوهَـــــــا لُجَّـــــــةً وَاتَّخَـــــذُوا
صَـــــالِحَ الأَعْمَـــــالِ فِيهَـــــا سُـــــفُنَا

وكان طاوس يفرش فراشه ويضطجع عليه فيتقلّى كما تتقلّى الحبَّة في المقلاة، ثم يقوم فيطويه ويُصلّي إلى الصبح ويقول: "طيَّر ذِكر جهنمَ نوم الخائفين".

ولله درّ مضاء بن عيسى إذا قال: "من رجا شيئًا طلبه، ومن خاف شيئًا هرب منه، ومن أحبَّ شيئًا آثره على غيره.

أخي الكريم..

وكيف لا يخاف النار من آمن بها وعلم أحوالها ورأى من نفسه تقصيرًا في بذل أسباب النجاة منها؟.. فإنها خُلِقت محفوفةً بالشهوات، وخُلِقت النفوس ميَّالة للشهوات، وكلَّما وقع المؤمن الصادق في نزعة من نزعات نفسه وبادره داعي الإيمان بتذكُّر النيران أصابه القلق والفزع، خشيةً من ألاَّ يتقبَّل الله عمله وتوبته، وأن يحاسبه على تلك النزعات.

٢- جعل الهم في المعاد:

فإنَّ من جعل همَّه في المعاد، وخاف من جهنم يوم يحشر الله

العباد، وجاهد نفسه حق الجهاد؛ وقاه الله سوء المنقلب، وأمنه يوم يخاف الناس؛ فإنَّ الله جلَّ وعلا لا يجمع على عبده أَمنَين، ولا يجمع عليه خوفَين، فإنه إن أخافه في الدنيا، أمنه في الآخرة، وإن أمنه في الدنيا أخافه في الآخرة.

وهذا عمر بن عبد العزيز رحمه الله يعظ أصحابه في خطبة بليغة فيقول:

"يا أيها الناس، إنكم خُلِقتم لأمر، إن كنتم تُصدِّقون به فإنكم حمقى، وإن كنتم تُكذِّبون به فإنكم هلكى، إنما خُلقتم للأبد، ولكنكم من دارٍ إلى دارٍ تنتقلون..

عباد الله، إنكم في دارٍ لكم فيها من طعامكم غُصص، ومن شرابكم شرف، لا تصفو لكم نعمة تسرّون بها إلاَّ بفراق أخرى تكرهون فراقها، فاعملوا لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه".

ثم غلبة البكاء.

إنْ كُنْتَ نِلْتَ مِنَ الحَيَاةِ وَطِيبِهَا
مِنْ حُسْنِ وَجْهِكَ عِفَّةً وَشَبَابَا
فَاحْذَرْ لِنَفْسِكَ أَنْ تَرَى مُتَمَنِّيًا
يَومَ القِيَامَةِ أَنْ تَكُونَ تُرَابَا

٣- محاسبة النفس:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

فمن حاسب نفسه فيوشك أن يعد أخطاءها ويعالج أهواءها ويستبدل حسناتها بالسيئات، ليفوز يوم العرض على ربِّ السموات.

قال الحسن: "إنَّ أيسر الناس حسابًا يوم القيامة الذين حاسبوا أنفسهم لله في الدنيا، فوقفوا عند همومهم وأعمالهم، فإن كان الذي همُّوا به لله مضَوا فيه، وإن كان عليها أمسكوا .. وإنما يثقل الحساب يوم القيامة على الذين جازفوا الأمور في الدنيا، أخذوها على غير محاسبة، فوجدوا الله قد أحصى عليهم مثاقيل الذر"..

ثم قرأ: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

٤- العمل الصالح:

فإنَّ الله جلَّ وعلا جعله وقايةً من النار ونجاةً من الخسار، فقال تعالى:

﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

أخي الكريم..

تذكَّر أنك ما خُلقت إلاَّ للابتلاء، وأنَّ النار هي مثوى من خاب في ذلك الابتلاء، ولا ينجو منها إلاَّ من حسن عمله .. قال تعالى:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ

بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال سبحانه: **﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾** [الملك: ٢].

ولإبراهيم التيمي رحمه الله تمثيل بليغ واعظ إذ يقول: "مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها، ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقُّومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلالها، فقلت لنفسي: أيُّ شيءٍ تريدين؟ قالت: أريد أن أُرَدَّ إلى الدنيا فأعمل صالحًا..

قال:

فقلت: فأنت في الأمنية؛ فاعملي".

فَقَدِّمْ فَدَتْكَ النَّفْسَ نَفْسُكَ إِنَّهَا
هِيَ الثَّمَنُ المَبْذُولُ حِينَ تَسلَّمُ

فما ظفرت بالوصل نفسٌ مهينة، ولا فاز عبدٌ بالباطل يُنعَّمُ.

ومن مواعظ أبي بن كعب ﷺ:

قال: لا تغبط الحيَّ إلا بما تغبط به الميت.

قالوا: وبماذا نغبط الميت؟

قال: إنه العمل الصالح وحُسن الذِّكر وطول العبادة.

وكيف لا يُغبط الميت بعمله الصالح وهو عنوانه بنجاته وغُنمه في

قبره، وهذا رسول الله ﷺ يخبر أنَّ العمل هو ما يصحب المسلم إلى قبره، وبحسبه سيكون مصيره، قال ﷺ: «**يتبع الميت ثلاثة: أهله، وماله، وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد: يرجع أهله وماله، ويبقى عمله**» رواه البخاري ومسلم.

* * *